

فتح القدير

5 - { ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح } بين سبحانه بعد خلق السموات وخلوها من العيب والخلل أنه زينها بهذه الزينة فصارت في أحسن خلق وأكمل صورة وأبهج شكل والمجيب بالقسم لإبراز كمال العناية والمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسميت الكواكب مصابيح لأنها تضيء كإضاءة السراج وبعض الكواكب وإن كان في غير سماء الدنيا من السموات التي فوقها فهي تتراءى كأنها كلها في سماء الدنيا لأن أجرام السموات لا تمنع من رؤية ما فوقها مما له إضاءة لكونها أجراما صقيلة شفاقة { وجعلناها رجوما للشياطين } أي وجعلنا المصابيح رجوما يرم بها الشياطين وهذه فائدة أخرى غير الفائدة الأولى وهي كونها زينة للسماء الدنيا والمعنى أنها يرم بها الشياطين يسترقون السمع والرجوم جمع رجم بالفتح وهو في الأصل مصدر أطلق على المرجوم به كما في قولهم : الدرهم ضرب الأمير : أي مضروبه ويجوز أن يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف محذوف : أي ذات رجم وجمع المصدر باعتبار أنواعه وقيل إن الضمير في قوله : { وجعلناها } راجع إلى المصابيح على حذف مضاف : أي شهبها وهي نارها المقتسبة منها لا هي أنفسها لقوله : { إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب } ووجه هذا أن المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول ولا يرم بها كذا قال أبو علي الفارسي جوابا لمن سأله : كيف تكون المصابيح زينة وهي رجوم ؟ قال القشيري : وأمثلة من قوله هذا أن نقول : هي زينة قبل أن يرم بها الشياطين قال قتادة : خلق الله النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامة يهتدي بها في البر والبحر فمن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيها لا يعلم وتعدى وظلم وقيل معنى الآية : وجعلناها طنونا للشياطين الإنس وهم المنجمون { وأعدنا لهم عذاب السعير } أي وأعدنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب عذاب السعير : أي عذاب النار والسعير : أشد الحريق يقال سعرت النار فهي